مصيف منارة البرلس

بقلم عبد الرءوف جمعة
المدرس بالمدرسة السعيدية

جاء بنا إلى هذا المصيف طيب هوائه وقلة نفقاته واحتشام قاصديه ؛ فهواؤه أجف هواء من رأس البر والاسكندرية ، وقاصدوه لا يخرجون عن اللائق ، ولا يتركون ما يجمل ويحسن ، فكأنهم لم يبرحوا ديارهم فى بلدانهم وقراهم ، ومواد المعيشة رخيصة ميسورة تعرض على الناس فى مساكنهم وما لا يوجد فى المصيف يأتى به الموكل بخدمة العشة من بلطيم ، أو المستبضع (الأبونيه) من المحلة وغيرها من المدن. ويبعد المصيف عن بلطيم - وإليها تنتهى سكة حديد الدلتا - بنحو خمسة آلاف متر ، تقطع بالمطايا أو السيارات ، ومن الناس من يأتون من بلدانهم إلى المصيف فى سيارات ، والمصيف فى سيف أفيح بين البحر وتلال من الرمل وفى رأس البر لا يطل على البحر إلا القليل من العشش مع غلاء أجرها ، والبحر عنده خير منه فى رأس البر زرقة وصفاء وهدوءا ، وأجرة العشة تحتوى على طنف وبهو وحجرة ومرافقها أربعة جنيهات أو أربعة ونصف مدة الصيف كله وكل حجرة تزيد بعد هذا فأجرها جنيه ونصف ومساحة الحجرة أربعة أمتار فى مثلها وتتسع لثلاثة أسرة وقد يتخذ الطنف مجلساً ومطعما ويتخذ البهو كما تتخذ الحجر للنوم ، ومنارة البرلس خلف المصيف مشرفة عليه بينه وبينها نحو مائة متر ؛ ويقوم بأمرها موظفون لا يقيم الواحد منهم إلا تسعة أشهر وينقل إلى منارة أخرى ، وعددهم ووظائفهم تتناسب مع أهمية المنارة فى الملاحة لا مع أعمالهم فهى قليلة سهلة ، وذلك لأن القائمين بها وبغيرها من المنارات قبل الحرب كانوا من الانجليز ، وبقيت على ما كانت عليه حتى تولاها بعد الحرب المصريون .

ليس بهذا المصيف بعوض ، وبه ذباب إلا أنه قليل ضعيف لا يعض كما يعض ذباب رأس البر فيؤلم عضه ولو كان دونه الجوارب !

يروح ويغدو الى المصيف بمطالب المعيشة أهل القرى القريبة منه يحملون غلة أرضهم من بطيخ وعنب وتين ودجاج وبيض وإوز وبط وخضر ، وذلك كله طيب وأرخص منه فى المدن وقرى الريف الأخرى ، وفاكهة البرلس حلوة مقبولة ، ويفد بها رجالهم ونساؤهم وغلمانهم وجواريهم ، وكلهم حسن العرض دائب السعى صبار كسوب ، إلا امرأة واحدة وجدتها ضعيفة الحيلة ، عطفنى عليها أنها أيم تعول أيتاما ، فسألت عنها فقيل لى أنها غريبة ليست من أهل البرلس فتسعى سعيهم وتحتال حيلتهم ، وهم ذوو دراية بتنقاد الدراهم ومعرفة زائفها ، ويتهمون الجديد منها فلا يأخذونه إلا مضطرين بعد فحص ونقد ، وأغلبهم لا يترفع وإن كان فى نعمة أن يسألك كسرة خبز قفار ويغلب على الظن أن هذا عرض لهم من الاغتراب والابتعاد عن ديارهم فى طلب الرزق واستبدال غلاتهم بالذرة والأرز غير المقشور فى إبانهما وأيام حصادهما فربما لا يجدون خبزاً يباع أو يجدون ويضنون بالمال فيسألون ويصير ذلك لهم عادة .

ومن قرى البرلس ما وصل اليه ماء النيل وهو قليل لا يفى بالحاجة . وعلى وزارة الأشغال أن تعنى بالبرلس وتوفر لأهله وزراعاتهم الماء ، فهم فى حاجة إلى عناية وعطف ، وإن كانت البلاد التى لم يصل إليها ماء النيل وبقى أهلها يزرعون فى الرمال ما يكتفى بما تختزنه من ماء الأمطار - قد ظل أهلها أوفر عافية وأنضر وجها وأنصع أسناناً وأحد بصراً ، ولا يزالون على فطرهم الساذجة وطباعهم الموروثة الطيبة .

ومن قرى البرلس من ينطقون القاف رجالا ونساء وجوارى وغلمانا نطقا بيناً واضحاً ، ولست أدرى من أين جاءت إليهم القاف وكيف احتفظوا بها ، ويجاورهم قرى لا تبعد عنهم أكثر من ألفى متر أو ثلاثة آلاف متر وعمدتهم واحد ولا ينطقون القاف فى كلامهم ، ومن العجيب أن من البلاد التى تنطق القاف من هم أكثر من غيرهم ممن لا ينطقونها ضربا فى الأرض ومشياً فى مناكبها واختلاطا بغيرهم من الناس ، ومع هذا بقوا ينطقون القاف .

ويخيل إلى أن نسلهم أكثر ذكاء وفطنة من رجالهم وأن خيرهم مرجو مبذول لمن يشتد فى معاملتهم ويقسو وميئوس منه ممنوع ممن يلين معهم ويعطف شأن الضعيف المهين ، وفى أرباض البرلس وهاد وربا تملك القلوب وتسر الناظرين بما فيها من نخيل وأعناب وبما ينبت فيها من نرجس يزهر حتى فى شهور القيظ فيطيب عرفا ويحسن منظراً وفيها نوع من العنب أبيض فى حمرة واستطالة وغزارة عصير قد يفضل الفيومى بخفته واستساغته .

أنسيت أن أذكر ما يطعمه المصطافون من الماء وهو من آبار قريبة العمق وإن يكن غير عذب فإنه صاف نقى ، وعصير الليمون يجعله سائغاً مقبولا كأنه ماء النيل عليه هذا العصير .

هذه كلمة أبعث بها إلى المجلة من هذا المصيف وقد وصل إلى به العدد الأول من سنتها الثانية فكان لى فيه متعة للنفس وراحة للخاطر فأردت أن أقارضها بدرة بدرهم .

أطلت بما ربما لا يعنى به الكاتب ، تعريفاً للناس بهذا المصيف ، فهو على مافيه من حسن ومزايا غير معروف لجمهور الناس ولا سيما المحافظون منهم والمتمسكون بالعادات الشرقية الحسنة والحجاب ، والمتبرمون بما عليه المصايف الآن من استهانة بالفضيلة وامتهان للمروءة والكرامة .

عبد الرؤف حمد